

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[711] في حياة البشر حوادث حلوة أو مرّة ولكنها غير باقية ولا ثابتة مطلقاً ، فالإنتصارات والهزائم ، والغالبية والمغلوبة ، والقوّة والضعف كلّ ذلك يتغير ويتحول ، وكلّ ذلك يزول ويتبدل ، فلا ثبات ولا دوام لشيء منها ، فيجب أن لا يتصور أحد أن الهزيمة في معركة واحدة وما يتبعها من الآثار اُمور دائمة ثابتة باقية ، بل لابدّ من الإنتفاع بسنة التحول ، وذلك بتقييم أسباب الهزيمة وعواملها وتلافيها ، وتحويل الهزيمة إلى إنتصار ، فالحياة صعود ونزول ، و أحداثها في تحول مستمر ، وتبدل دائم ولا ثبات لشيء من أوضاعها وأحوالها . (وتلك أيام(1)نداولها بين الناس) لتتضح سنة التكامل من خلال ذلك. ثمّ إنه سبحانه يشير إلى نتيجة هذه الحوادث المؤلمة فيقول : (وليعلم الأ الذين آمنوا) أي أن ذلك إنما هو لأجل أن يتميز المؤمنون حقّاً عن أدعياء الإيمان. وبعبارة أخرى : إذا لم تحدث الحوادث المؤلمة في حياة أمة من الأُمم وتاريخها لم تتميز الصفوف ولم يتبين الخبيث والطيب ، لأن الإنتصارات وحدها تخدع وتغري ، وتصيب المنتصرين بالغفلة بينما تشكل الهزائم عامل يقظة للمستعدين المتهيين ، وتوجب ظهور القيم ، وتعرف بها حقائق الرجال. ثمّ إنه في قوله : (ويتخذ منكم شهداء) يشير إلى إحدى نتائج هذه الهزيمة المؤلمة ، بأن هذه النتيجة كانت هي تقديمكم بعض الشهداء في هذه المعركة ، فيجب أن تعلموا أن هذا الدين لم يصل إليكم بالهيّن ، فلا يفلت منكم كذلك في المستقبل. إن الأُمة التي لا تضحي في سبيل أهدافها المقدسة لا تعير تلك الأهداف أهميتها ، ولا تعطيتها قيمتها اللائقة ، أما إذا ضحت في سبيل أهدافها فإنها هي _____ 1 - "الأيام" جمع يوم يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يطلق على فترات الإنتصارات الكبرى في حياة الشعوب ، و "نداولها" من المداولة بمعنى إذا صار الشيء من بعض القوم إلى البعض الآخر.